شيء من التاريخ :

المرأة تحث على الجهاد

نسمع هذه الأيام كما كنا نسمع أيام الحرب الكبرى عن بسالة المرأة الأوربية وكيف تبذل حياتها من أجل وطنها ومبدئها فيتولانا الإعجاب ، ونذكر إلى جنب هذه الشجاعة ما نراه من مناظر مخجلة ونسمع من أصوات منكرة حين يجند الشبان عندنا . ومع أننا نعترف أن الأمهات عندنا قد كففن عن هذه العادة المرزولة إلا القليلات وأنهن قد شرعن يعرفن للوطن حقوقه على أبنائهم فاننا نعترف أيضا بأننا ما زلنا فى حاجة إلى بعث النخوة الوطنية بينهن . ولذلك ننقل هذا المثال التالى الذى يدلنا على شجاعة المرأة العربية :

ففى عصر الدولة الأموية كان عبد الله بن الزبير قد خرج على عبد الملك بن مروان . وقد دان له العراق والحجاز واليمن . فأنفذ اليه الخليفة الأموى الحجاج بن يوسف بجيش عظيم فى مكة فطوقها ونصب عليها المجانيق تضربها بالنار وتقذفها بالحجارة . وشعر عبد الله بن الزبير بضيق الحصار ونفاد المؤن وقلة الرجال. فقصد الى أمه وهى عجوز قد حطمتها الشيخوخة . فقال " يا أماه ، خذلنى الناس حتى أهلى وولدى ، ولم يبق معى إلا اليسير ومن لا دفع له أكثر من صبر ساعة من النهار ، وقد أعطانى القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك؟" .

فقالت : " الله الله يابنى . ان كنت تعلم أنك على حق تدعو اليه فامض عليه ولا تمكن من رقبتك غلمان بنى أمية فيلعبوا بك ، وان كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ومن معك ، وان قلت إنى كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت نيتى ، فليس هذا مثل الأحرار ولا من فيه خير ، كم خلودك فى الدنيا ؟ القتل أحسن ما يقع بك يا ابن الزبير ، والله لضربة بالسيف فى عز أحب إلى من ضربة السوط فى ذل ".

فقال : " يا أماه ، أخاف ان قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى و يصلبونى" .

قالت : " يا بنى ان الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح ، فامض على بصيرتك واستعن بالله " .

فقبل رأسها وقال لها : "هذا والله رأيى، والذى قمت به داعيا الى الله ، والله ما دعانى الى الخروج إلا الغضب لله عز وجل أن تهتك محارمه ، ولكنى أحببت أن أطلع على رأيك فيزيدنى قوة و بصيرة مع قوتى و بصيرتى، والله ماتعمدت إتيان منكر ، ولا عملا بفاحشة ، ولم أجُر فى حكم ، ولم أغدر فى أمان ، ولم يبلغنى عن عمالى حيف فرضيت به ، بل أنكرت

ذلك ، ولم يكن شيء عندى آثر من رضاء ربى ، اللهم إنى لا أقول ذلك تزكية لنفسى ، ولكن أقوله تعزية لأمى لتسلو عنى " .

فقالت : "والله انى لأرجو أن يكون عزائى فيك جميلا ، ان تقدمتنى احتسبتك ، وان ظفرت سررت بظفرك ، أخرج حتى أنظر الام يصير أمرك" .

ثم قالت : "اللهم ارحم طول ذلك القيام بالليل الطويل وذلك النحيب والظمأ فى هواجر مكة والمدينة و بره بأمه ، اللهم إنى قد سلمت فيه لأمرك ورضيت فيـــه بقضائك فأثبنى فى عبد الله ثواب الشاكرين " .

قال : " يا أماه لاتدعى الدعاء لى قبل قتلى ولا بعده " .

فقالت : " لن أدعه ، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق " فتناول يدها ليقبلها فقالت : "هذا وداع فلا تبعد" .

فقال لها : "جئت مودعا لأنى أرى هذا آخر أيامى من الدنيا " .

قالت : "امض على بصيرتك وادن منى حتى أودعك" .

فدنا منها فعانقته وقبلته ، فوقعت يدها على الدرع ، فقالت :

" ما هذا صنيع من يريد ما تريد " .

فقال : " ما لبستها إلا لأشد متنك " .

فقالت : " إنها لا تشد متنى " .

فنزعها ، ثم درج عنه وشد قميصه وجبته ، وخرج وهو يقول :

"أبى لابن سلمى أن يعير خالدا ملاق المنـايا أى حرف تيما"

"فلست بمبتاع الحيـاة بسبة ولا مرتق من خشية الموت سلما"

وقال لأصحابه : " احملوا على بركة الله ، وليشغل كل منكم رجلا ، ولا يلهينكم السؤال عنى ، فإنى على الرعيل الأول " .

ثم حمـل عليهم حتى بلغ بهم المجون ، وهنالك رماه رجل من أهل الشام بحجر أصاب وجهه ، فأخذته منه رعدة ، فدخل شعبا من شعاب مكة يستدمى ، فبصرت به مولاة له ، فقالت : "وا أمير المؤمنيناه" فتكاثر عليه أعداؤه عند ذلك فقتلوه ، وصلبه الحجاج ، فأقام جثمانه على الجذع عاما كاملا ، حتى إذا أمر عبد الملك بانزاله أخذته أمه فغسلته بعد أن ذهبوا برأسه وذهب البلى بأوصاله ثم كفنته وصلت عليه ودفنته .